**تفسير الآيات من [102- 113]**

**كل إنسان مسئول عن عمله، وإلصاق التهم بالأبرياء من عظائم الذنوب، وعصمة الله لرسوله**

**بحث فى علم التفسير**

**إعداد / *ميريهان مجدي محمود***

**قسم الدعوة وأصول الدين**

**كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية**

**شاه علم - ماليزيا**

***mirihan@mediu.ws***

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى كل إنسان مسئول عن عمله، وإلصاق التهم بالأبرياء من عظائم الذنوب، وعصمة الله لرسوله**

**الكلمات المفتاحية – انسان ، عمله ، الصاق، الذنوب**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة كل إنسان مسئول عن عمله، وإلصاق التهم بالأبرياء من عظائم الذنوب، وعصمة الله لرسوله**

* **.عنوان المقال**

**كل إنسان مسئول عن عمله:**

**وترهيبًا وتخويفًا لهؤلاء الذين يرتكبون الذنوب والمعاصي، ويرمون الآخرين زورًا وبهتانًا بما فعلوا من الجرائم قال تعالى: {ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ} [النساء: 111، 112].**

**وفي هاتين الآيتين تخويف وترهيب لهؤلاء الذين يفعلون السوء ولا يتوبون، ترى ذلك في الآية التي معنا: {ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ}:**

**{ﮣ ﮤ} أي: يرتكب ذنبًا من الذنوب مهما صغر، {ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ} لأن ضرر هذا الذنب الذي ارتكبه يعود عليه هو لا على الآخرين، وهذا فيه حثٌّ على الإقلاع من المعاصي، والتوبة النصوح، والرجوع إلى الله .**

**{ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ} وهذه حقيقة لا تخفى على من عنده ذرة عقل أو ذرة إيمان؛ لأن الله  العليم بما في الصدور المطلع على ما في القلوب، وهو الإله الحكيم بحكمته خلق هذا الإنسان هكذا بين الطاعة والمعصية، بين الخير والشر، هداه النجدين! نعم من يكسب إثمًا فإنما يكسبه على نفسه؛ لأنه سوف يتحمل مسئولية عمله كما قال تعالى: {ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ} [الأنعام: 164] لا يُغني أحد عن أحد، ولا ينفع أحد أحدًا، إنّما كل إنسان يتحمل مسئوليته فالله  يجزي كل نفس بما عملت: {ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ}.**

**إلصاق التهم بالأبرياء من عظائم الذنوب:**

**أمّا الآية الثانية: {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ} فهذه تذكر لنا لونًا من الإثم ولونًا من الذنوب عظيم وخطير؛ لأنّ الذنوب إمّا ذنوب فيما بين العبد وربه يطلب فيها العبد التوبة من الله؛ فيتوب الله عليه، وإمّا ذنوب تتعلق بالآخرين كما نرى في هذه الآية الكريمة: {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ} وهذه الآية تشير إلى ما كان من أمر هؤلاء الذين صنعوا ما صنعوا، وجاءوا يتهمون الآخرين ظلمًا وعدوانًا بأنهم سرقوا ما سرقوا، فهؤلاء اكتسبوا خطيئة أو إثمًا، لكنّ القرآن يسوقها قضية عامة في أن الإنسان قد يكتسب خطيئة من الخطايا -أي: ذنبًا من الذنوب- الصغيرة أو التي لا يتعمدها، ولكنّه يرى في هذه الخطيئة وإن صغرت بأنّها من الذنوب التي لا تستحق التوبة، أو يكسب إثمًا من الآثام كبيرةً من الكبائر، أو ذنبًا من الذنوب عمدًا وقصدًا، ويرمي بهذا الذنب، وبهذا الإثم أحد الناس الذين لا صلة لهم بهذا الأمر. ماذا يكون من حاله؟:**

**والتعبير القرآني هنا: {ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ} البهتان: هو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته، وقيل: هو الكذب الذي يتحير في عظمه، فهو ذنب وإثم عظيم وكذبة خطيرة يزورها هذا الإنسان الخائن ويرمي بها الآخرين، والإثم المبين: البين الذي لا يخفى على أحد.**

**ولو أنّك نظرت في الآية الكريمة لوجدت قول الله تعالى: {ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ} قد جاءت هذه الكلمات نكرة؛ لتفيد التهويل، فإذن هذا بهتان مهول فظيع، وإثم عظيم بيّنٌ لا يخفى على من يسمعه أنّه إثمٌ، وفي ذلك من الترهيب ما فيه؛ إذ كيف لإنسان عاقل يتحمل في مشقة وعناء هذا البهتان وهذا الإثم -أي: ما يترتب على هذا البهتان وهذا الإثم- من العذاب الأليم هناك في الآخرة: {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ} فمن يطيق ذلك؟! ومن يرضاه لنفسه -إلّا أن يكون إنسانًا ناقص العقل والدين؟!.**

**عصمة الله لرسوله :**

**ثُمَّ يقول ربُّنا بعد أن خوَّف ورهَّب ورغَّب: {ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ} [النساء: 113].**

**ولكنّ الآية لها في كلماتها المعاني الثرة العظيمة التي تبين ما أكرم الله به رسولنا  تقول: {ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ}.**

**{ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ} خطاب لرسول الله  وفي هذا الخطاب تشريف وذكر وإعلاء لمقام رسول الله  وبشارة له بأنّ الله  متفضل عليه بجوده وكرمه وواسع عطائه ولِمَ لا؛ وقد اصطفاه من بين الخلق ليكون رسولًا للناس أجمعين يحمل الرسالة ويؤدي الأمانة؟! فهذا اصطفاء من الله، وفي هذا فضل وأي فضل، ورحمة الله قد أحاطت برسول الله  في كل حركاته وسكناته، بل تعهدته في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات حتى وُلد -صلوات الله عليه وسلامه- فكان ما كان من أمره، ونشأ محفوظًا محاطًا برحمات الله وفضله وكرمه إلى أن شب وكبر ووصل إلى ما وصل إليه، وجاء الموعد الذي آن الله فيه لهذه الدنيا أن تسعد، فأرسل الله إلى رسوله، وإلى مصطفاه، وإلى هذا الرجل الذي يتعبد في غار حراء أرسل له مَلَك الوحي جبريل بأول مدد في هذا الغيث بقول الله: {ﭻ} [العلق: 1] وكان من أمره ما كان في كل لحظة من لحظات حياته.**

**وسوف تبقى رحمات الله تحيط بهذا الرسول دائمًا وأبدًا، ومن ذلك ما كان من أمر هؤلاء الذين جاءوا يدّعون أنّهم الشرفاء، وجاءوا بأهلهم وعشيرتهم ليدافعوا عنهم أمام رسول الله  وليطلبوا من رسول الله  أن يدافع عنهم، وأن يجادل عنهم، وأن يبرئ ساحتهم، وكاد رسول الله  أن يميل إلى ذلك لما رأى من ظواهر حالهم أنّهم فعلًا بُرآء مما نسب إليهم وبخاصة، وأن الشيء الذي سرق وجد عند غيرهم؛ فهذا هو قوله: {ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ}.**

**ولكنّ هؤلاء الذين هموا أن يضلوا رسول الله  عن الحقِّ، وأن يجعلوه لا يعرف حقيقة ما كان من أمرهم، فلنفترض جدلًا أنّهم فازوا بحكم رسول الله  إليهم، وأنّ رسول الله  حكم على من اتهموه زورًا وبهتانًا؛ لأنّه  بشرٌ لا يدري من الأمر شيئًا إلّا أن يكون عن طريق الوحي من الله  فهل هؤلاء الذين فعلوا هذا الفعل فازوا حقًّا؟ هل هم حقيقة أضلوا رسول الله  عن الحقيقة، أو أنّهم أضلوا أنفسهم؟:**

**يقول الله : {ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ} لأن ضرر هذا الذي فعلوا عائدٌ إليهم، ولهذا قال: {ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ} فرسول الله  لا يُضِيره أن يحكم على هذا أو ذاك؛ لأنّه لا يحكم بهوى إنّما يحكم بالحق والعدل وفق ما بين يديه من الشواهد، أمّا الحقيقة فهذه مردها إلى علم الله : {ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ}.**

**فضل الله على رسوله :**

**قال تعالى: {ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ} [النساء: 113].**

**قال المصطفى : ((ألَا إنَّي أوتيت القرآن ومثله معه)) وقال الله : {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ} [النجم: 1- 5].**

**فالسنة إذن جزء من الوحي، ولكنّها غير مسطورة في السطور التي نعرفها في كلمات القرآن العظيم، لكنّ الله  أنزل على رسوله  هذا الكتاب، وهذه الحكمة، والحكمة والكتاب سواء في أنّهما دليلان يرشدان الحائرين إلى طريق الرشاد وطريق السداد.**

**وأيضًا يذكر الله نبيه  بأنّه علمه أشياء لمْ يكن ليعلمها من قبل، وهذه الأشياء التي علمها لرسول الله  أشياء كثيرة يكفي فيها هذا القرآن العظيم بكل ما جاء فيه، لهذا نرى فضل الله في قوله: {ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ} نعم نشأ رسول الله  في بيئة أمية لمْ يجلس أمام معلم، ولمْ يتلق تعليمًا من أي مصدر من المصادر البشرية إلى أن وصل إلى سن الأربعين.**

**فالله  علم رسوله ما لم يكن يعلم، وما كان له أن يعلم إلا بتعليم الله له، فأعلمه وأظهر له سُبل الرشاد والسداد، وهداه إلى الطريق المستقيم، وكشف له عن أخبار الأولين والآخرين، واقرءوا في ذلك ما يُعقب به ربّ العزة والجلال، وهو يسوق لرسول الله  ما يسوق من أخبار الأمم الماضية، وما كان من أمر ما حدث للسابقين فيقول له: {ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ} [هود: 49].**

**{ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ} وهو ختام فيه ما فيه من فضل الله  على رسول الله  تلمح ذلك في اختيار كلمة الفضل، وفي إضافة هذا الفضل لله ربِّ العالمين، فهو فضل أي: نعمة مُسداة، وعطية إلهية أعطاها الله لرسوله  ولِمَ لا؟ وقد كان  وهو يتعبد في غار حراء ما خطر في باله أن يقع عليه الاختيار ليكون مبعوثًا من الله  إلى بني الإنسان، بل إلى الثقلين من الإنس والجن، وأن تكون هذه الرسالة رسالة باقية ببقاء الزمان، فهي رسالة للإنسان، ولغير الإنسان في كل زمان وفي كل مكان إلى أن يأذن الله لهذه الدنيا أن تنتهي، ولهذا العالم أن ينتقض، وأن تقوم القيامة، فهذا فضل من الله  وفضل الله كان من ثمّراته حفظ الله لرسوله  وتأييده له، ونزول هذا الوحي عليه إلى غير ذلك.**

**{ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ} كان فضل الله، وقفنا عند هذا الفضل؛ فرأينا اختيار الله لرسول الله  وما كان هناك من حفظ، ومن تأييد، ومن وحي لهذا الرسول الكريم، وما كان في هذا الوحي، وما كان في مسيرة رسول الله  قبل وبعد نزول هذا الوحي من فضل، ومن إكرام، ومن إسعاد كان من أثرها هذا الرسول الكريم العظيم  وفي إضافة الفضل إلى لفظ الجلالة ما يُنبئك عن عظم هذا الفضل، وأن هذا العطاء الذي أعطاه الله لمحمد  ليس كأي عطاء، وإنّما هو عطاء مَلِك الملوك الإله المتصرف في هذا الوجود الذي قال: {ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ} [آل عمران: 26].**

**ونرى أيضًا وصف هذا الفضل بأنّ هذا الفضل كان عظيمًا، عظيمًا كلمة العظيم، وهي صيغة "فعيل" صيغة مبالغة في العظمة، وقد أتت هذه الكلمة كما رأيتُم نكرة، والتنكير يُفيد التعظيم، فالعبارة إذن فيها تعظيم بعد تعظيم، ولذلك قال الإمام الألوسي: {ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ} أي: لا تحويه عبارة، ولا تحيط به إشارة، ومن ذلك النبوة العامة، والرياسة التامة، والشفاعة العظمى يوم القيامة، فإذن هذه عطايا ربّ العزة والجلال وخيرات وبركاته وأفضاله ونعمه التي أحاطت بمحمد  وبها كان  الرحمة المهداة، والنعمة المُسداة، والسراج المنير، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للجماعة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد ربّه حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديهم، وسار على نهجهم، واتبع طريقهم إلى يوم الدين.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**